أمن الدولة والكنيسة...الجريمة الكاملة
من كنيسة القديسين إلى أحداث إمبابة

19

بعد الثورة كانت قد تكشفت أمور كثيرة،وكان لابد أن أثبت هنا بعضا مما بدا، مؤكدا أن أمن الدولة لم يكن يرى فى الأقباط إلا أوراق لعب فقط، يستخدمها فى الوقت الذى يحدده،وبالطريقة التى يشاؤها...مستهينا بالأرواح والأعراض والقامات.

العلامات كثيرة من تفجير كنيسة القديسين ...الحدث الطائفى الأخير قبل الثورة، إلى الأحداث الطائفية الكثيرة التى تفجرت بعد الثورة،وكنا نعتقد أن الطائفية ستنتهى إلى الأبد...لكن شيئا من ذلك لم يحدث...والسبب بسيط فلم يكن نظام مبارك هو وحده الطائفى...بل لأننا جميعا طائفيون... والله أعلم.

عندما وقف حبيب العادلى فى احتفاله الأخير بعيد الشرطة فى ٢٣ يناير ٢٠١١،ليعلن توصل رجاله إلى مرتكبى حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية،كان منتفخا،يشعر بالزهو،ملامحه تشى بغرور الامتلاء بالقوة،وضع العادلى الجريمة فى عنق الجيش الإسلامى بغزة،ثم هبط ليتلقى التهانى من كبار رجال الدولة،بعد أن حصد إعجاب وثناء وتشجيع الرئيس.

لم يكن العادلى يعرف أنه وبعد أيام قليلة سيكون هو المتهم الأول والمباشر بتفجير كنيسة القديسين،التى راح ضحيتها ٢٤ شهيدا،كان المصريون يجمعون أشلاءهم وبقاياهم فى الطرقات، و٩٠ مصابا لا يزالون يتلقون العلاج حتى الآن،ومن يدرى فقد يخرجون بعاهات مستديمة،تظل معهم حتى موتهم.

اتهام العادلى جاء عبر تقارير صحفية نشرتها مواقع دولية ومحلية مستندة إلى معلومات منسوبة إلى المخابرات البريطانية،وأشارت إلى أن ما تم كان كالآتى:

«كان حبيب العادلى ومنذ ٦ سنوات قد شكل جهازا خاصا يديره ٢٢ ضابطا،وهؤلاء بدورهم كونوا مجموعات معاونة من أفراد جماعات إسلامية تم الإفراج عنهم بعد المراجعات الشهيرة،وعدد من تجار المخدرات والمسجلين خطر،وفرق من شركات الأمن،وتم نشرهم فى قطاعات الجمهورية المختلفة.

كانت المهمة الأساسية للجهاز أن يقوم بأى عمليات تخريب شاملة فى جميع أنحاء الجمهورية، فى حالة تعرض النظام لأى أزمة.

من بين ما قام به هذا الجهاز كان تفجير كنيسة القديسين،وبطل الفضيحة كما تقول المخابرات البريطانية هو الرائد فتحى عبد الواحد المقرب من حبيب العادلى،فقد قام يوم ١١ ديسمبر الماضى بتجنيد أحمد محمد خالد الذى قضى أحد عشر عاما فى السجون المصرية،ليجرى اتصالات بمجموعة متطرفة مصرية لتنفيذ مجزرة القديسين.

اتصل أحمد خالد بمجموعة «جند الله»،وأكد لها أن لديه أسلحة حصل عليها من غزة لتفجير كنيسة لتأديب الأقباط، التقط محمد عبد الهادى قائد جند الله الفكرة،وبدأ فى الإعداد لها من خلال عبد الرحمن أحمد على،كانت الخطة أن توضع سيارة لتنفجر من نفسها.

ما حدث فعلا – طبقا للتقارير البريطانية – أن الرائد فتحى عبد الواحد هو الذى فجر السيارة عن بعد بواسطة جهاز لاسلكى وقبل أن ينزل الضحية عبد الرحمن أحمد على من السيارة،توجه الرائد فتحى نفسه إلى أحمد خالد وطلب منه استدعاء رئيس جماعة جند الله محمد عبد الهادى إلى شقة بالإسكندرية لمناقشة نتائج التفجير....وعندما تم اللقاء اعتقل الرائد فتحى الاثنين ونقلهما فورا إلى القاهرة بواسطة سيارة إسعاف،ليصل إلى مبنى خاص فى منطقة الجيزة بالقاهرة تابع للداخلية».

ما الذى كشف هذه الأوراق كلها؟

مساء جمعة الغضب وأثناء خروج السجناء من السجون،كان أن خرج أحمد خالد ومحمد عبد الهادى من مقر احتجازهما،وعلى الفور توجها إلى السفارة البريطانية فى القاهرة طلبا لأمنهما وسلامتهما،ليقولا لرجال أمن السفارة كل ما جرى وبالتفصيل.

دبلوماسى بريطانى كشف قصة تفجير القديسين، رأى أنه كانت هناك أسباب واضحة،تجعل من المنطقى أن يقوم العادلى بالتخطيط والتنفيذ للمجزرة،ومنها:

أولا: الضغط الذى تعرض له النظام المصرى داخليا وخارجيا لمحاصرته مدينة غزة،واتهام جيش الإسلام بمثل هذه الجريمة سيلعب نفسيا على الرأى العام المصرى، لأن المسلحين من غزة يقومون بتخريب مصر ويقتلون الأقباط الذين تعهد النظام المصرى ؛بحمايتهم.

ثانيا: تقديم خدمة مباشرة لإسرائيل التى تدعم ترشيح جمال مبارك لرئاسة مصر فى كل أنحاء العالم،فإظهار جيش الإسلام بأنه إرهابى يضعف موقفه عالميا،ويمنح إسرائيل رخصة لإعمال القتل الذى لا ينتهى.

ثالثا:اصطناع حجة جديدة لاستمرار الطوارئ والحكم بها،وهو ما كان يحتاجه النظام خاصة فى مرحلة الانتخابات الرئاسية،التى كانت تعد لجمال مبارك،وكانت التقارير السياسية الداخلية والخارجية تشير إلى أن هناك احتجاجات ضخمة جدا ضد التوريث.

القصة بصورتها تلك تشير إلى أن جهاز الأمن الخاص الذى أنشأه حبيب العادلى على عينه وبرعايته شخصيا،هو الذى قام بتنفيذ مجزرة كنيسة القديسين.

إنا أمام اتهام واضح بالأسماء والأماكن والتوقيتات،ليس كلاما مبهما،وهو ما سيجعل التحقيق فى البلاغ الذى تقدم به ممدوح رمزى المحامى ضد العادلى إلى النائب العام وحمل رقم ١٤٥٠ لسنة ٢٠١١ عرائض النائب العام ،أمرا سهلا وميسورا،خاصة أن حبيب العادلى نفسه قيد التحقيق الآن.

نيابة أمن الدولة العليا التى تم تحويل البلاغ لها سألت ممدوح رمزى،الذى لا يملك بالفعل إلا ما نشر فى المواقع الإليكترونية،لكنه بادر إلى تحويل التقارير التى تناقلتها المواقع القبطية – وكان يمكن لها أن تمضى كما مضت، تقارير كثيرة تحمل اتهامات للداخلية بصنع الفتنة الطائفية دون أن يحقق فيها أحد – إلى اتهام واضح وموثق ويحمل رقم فى مكتب النائب العام،وبذلك أصبحت له صيغة قانونية.

لقد كان مريبا أن يصدر قرار حظر نشر فى قضية الكنيسة،بعد أن أعلن حبيب العادلى أن رجاله توصلوا إلى الجناة،كان من المفروض أن تنشر التحقيقات على الفور،لكن حظر النشر كان يشى بأن هناك شيئا محظورًا،أو أشياء خطأ ...أو على الأقل تورط،أقنع العادلى نفسه بأنه لن ينكشف أبدا ....فكل شيء يتم برعاية الداخلية والداخلية باقية،فلا شيء سيظهر.

لا يستطيع أحد أن يجزم بشيء ...أو يؤكد الاتهام أو ينفيه،فقط يمكن للتحقيقات التى لابد أن تجرى بدقة أن تكشف هل فعلها العادلى أم لا؟

الإجابة مهمة جدا لأنها ستضع أمامنا ملفات عديدة بصورة مختلفة عن التى عرفناها خلال السنوات الماضية،ومنها:

أولا:لقد كانت هناك إشارات دائمة تسربت عبر ما كنا نكتبه عن أحداث الفتن الطائفية، تؤكد أن أحداث العنف الطائفى لا يمكن أن تكون بعيدة عن أيدى الأمن،الذى يدير مصر من خلال صنع الأزمات وتصديرها للشارع كى ينشغل بها، وقد تأمل الكثيرون ما جرى خلال أيام الفراغ الأمنى، فرغم غياب الأمن تماما إلا أنه لم تحدث أحداث طائفية،فهل معنى ذلك أن من كانوا يصنعون هذه الأحداث كانوا غائبين؟ ...هذا سؤال.

ثانيا: إذا كان العادلى نفذ تفجير القديسين من خلال جهاز أمنى خاص مكون

من ٢٢ ضابط يديرون بلطجية وتجار مخدرات ومسجلين خطر،فمل كان هذا هو جهاز الأمن الوحيد الخاص،أم كانت هناك أجهزة أ ن خاصة أخرى استخدمها العادلى فى توطيد دعائم دولته الأمنية التى كونها عبر ١٣ عاما ...كانت هى الأطول والأكثر صخبا فى حياة وتاريخ الداخلية فى مصر.

إن التحقيقات مع العادلى لن تقف عند الشهر الأخير،ولا مافعله مع المتظاهرين ومع حالة الفوضى الأمنية التي روع من خلالها المواطنين،ولكنها ستكون تحقيقات لما جرى فى ١٣ سنة ...وليس عليكم إلا أن تنتظروا ....فالقا م سيكون مختلفا تماما عن كل ما كتبناه وتصورنا أنه حجم الفساد فى مصر فقط.

***

بعد شهور من الثورة تكشفت حقائق أخرى عن تفجير كنيسة القديسين،فطبقا لمصادر مقربة من عمر سليمان الذى كان مديرا للمخابرات المصرية أثناء وقوع حادث القديسين،فإنه استقبل مندوبا من قبل العقيد معمر القذافى قبل حادث القديسين بثلاثة شهور،حمل المندوب معه تسجيلا بالصوت والصورة لشاب تم القبض عليه فى ليبيا،يعترف بالخطة الكاملة لتفجير القديسين بالساعة والدقيقة.

على الفور ولهول ما سمع عمر سليمان،اتصل بالرئيس مبارك،وحكى له ما رآه وسمعه فى التسجيل الصوتى،قال سليمان لمبارك: إنه لا يستطيع أن يتصل بحبيب العادلى حتى لا يعتبر هذا تدخلا فى عمله،وأنه يفضل أن يتولى الرئيس إخباره بنفسه.

المفاجأة كانت فى رد مبارك بالطبع،فقد قال لعمر سليمان:أنت مش عرفت خلاص.

توقع عمر سليمان أن يعمل الرئيس من خلال وزير داخليته على إيقاف المذبحة،لكن أحدا لم يهتم بالأساس،وهو ما يوحى – من أبواب معينة – بأن مبارك نفسه ربما لم يكن بعيدا عن التخطيط لمذبحة القديسين،لينقذ نظامه،رغم أن مذبحة القديسين فعليا هى القشة التى قصمت ظهر نظام مبارك،فلأول مرة يخرج المسلمون والأقباط فى مظاهرات تندد بالمجزرة.

***

إننى أعترف أن أمن الدولة لم يكن وحده المجرم فى حادث القديسين،فقد كان هناك مجرمون آخرون،وقد أشرت إليهم جميعا.

فقد رصدت أنه وفى الساعات الأولى بعد وقوع مجزرة كنيسة القديسين فى الإسكندرية،أن الخطاب الرسمى المصرى خرج هادئا،محاولا أن يكون متوازنا،مخففا من الصدمة ومهونا من شأنها،رغم أن الحدث كان جللا،وإذا كانوا يقولون ليس من سمع كمن رأى،فإن من شهد الواقعة رأى العين لا يزال يعيش فى رعب وفزع أعتقد أنه لن يغادره للأبد.

لكن وبعد أن خرج الرئيس مبارك معلنا الحرب على الإرهاب تغيرت اللهجة تماما – وهى عادة المسؤولين ولن يشتروها،وحاول الكثير من المسؤولين أن يضعوا الحدث فى حجمه الذى يستحقه.

فما كان لهذا العمل الإجرامى أن يمر مرور الكرام ،ليس من أجل المسيحيين فقط،ولكن من أجل الجميع،فالتفجير الذى حدث فى الإسكندرية ،يمكن أن يتكرر فى أى مكان على أرض مصر،وبدلا من أن يصبح القتلى مجهولين بالنسبة لنا لا نعرفهم،يصبح القتلى أنا أو أنت أو أولادنا أو أولادك.

حسنا ما فعله وما قاله الرئيس ،فالحرب على الإرهاب لابد أن تبدأ وبقوة،خاصة أن هناك من أعلن عن نفسه وبوقاحة منقطعة النظير.

ولأنه لا خير يأتى من الإنترنت،فقد خرجت الوقاحة والفجاجة والإجرام من الإنترنت،تحديدا من الشبكات الغامضة التى ترتدى رداء الإسلام وتتحدث باسمه.

هل سمعتم عن شبكة تطلق على نفسها «شموخ الإسلام»؟

هى شبكة إليكترونية بعد ساعات من وقوع حادث الإسكندرية استقبل أعضاؤها والمتعاطفون معها الخبر وكأنه فتح من الله عظيم، فرحوا واستبشروا وأعلنوا إعلانا لا مواربة فيه ولا مداراة له بفرحهم لأن الله كما يقولون أخذ بحقوق الأسيرات المسلمات فى الأديرة والكنائس.

المسؤولون عن الموقع بكل إجرام يخلو من أى إحساس بالإنسانية أطلقوا على ما جرى فى سيدى بشر بأنه «غزوة الإسكندرية»....فى تباهى غريب مع الغزوات التى قام

بها المسلمون فى صدر الإسلام،وكأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب رسالة،رغم أن كل رسالتهم فى الحياة هى القتل والتدمير،وهى أمور الله بريء منها ولا يعرف أصحابها

الغريب أن رجال هذه الشبكة – هذا إذا كانوا رجالا من الأساس – بدو أشد تطرفا وإرهابا من شيوخ كنا نلوم عليهم أنهم زرعوا الإرهاب من خلال فتاويهم المتطرفة.

لقد سارع الشيخ محمد حسان وأفتى بأن من نفذ حادثة الإسكندرية ليس مسلما،وهذا أقل ما يقال عنه بالفعل.

لكن جهابذة شبكة شموخ الإسلام يرفضون ما ذهب إليه محمد حسان،يقول أحد الأعضاء عن حسان:«حق له أن يسمى بالشيخ إن كانت المشيخة فى انتفاخ البطون ولبس البياض والنوم فى هدوء مع زوجته، ونساء المسلمين فى سجون أعداء الله ورسوله يسب ليل نهار ، وكتاب الله يرمى به فى القاذورات وأمهاتنا يغتصبن فى كثير من البلدان.

وحسان يقول اتركوهن للرحمن،وعليكم بالدعاء ،فإن الله منان وأما الجهد والجهاد فهو ليس فى مصلحة أتباع العدنان،بل هو ضرب فى دين الأوطان،فصار المسيحى المصرى يؤخذ فى الأحضان والأخ المجاهد الأفغانى لا،فهو من الطالبان، والطالبان لا تدين بدين الأوطان،بل دينها لا يعرفه أمثال حسان وإخوانه».

ويكتمل الطعن فى حسان لأنه أخيرا قال كلمة حق:«إن حسان لم يعد يفرق بين القرآن والدستور،وبين حزب الرحمن وحزب الأوطان».

هل رأيتم بجاحة أكثر من هذا،إن الشيخ محمد حسان عاد إلى صوابه وإلى رشده،وقال قولة حق،كان لابد من الاحتفال بها والاحتفاء بقائلها،لكنهم أهالوا عليه التراب ولعنوه،كما كان يفعل مريدوه مع من يخالفونه الرأى.

وعلى خطا شبكة شموخ الإسلام التى هى إهانة كاملة للإسلام، يأتى رجال شبكة المجاهدين،ولا أعرف بأى أمارة هم رجال وهم يتخفون عن العيون ويحرضون من خلف الشاشات الصماء،تجاوزت شبكة المجاهدين،فهى تحرض على تفجيرات جديدة فى الكنائس المصرية،وكأن التفجير الذى جرى فى الساعات الأولى من العام لا يكفى لإرواء عطشهم للدماء.

تعلن الشبكة فى بجاحة منقطعة النظير أن ما حدث فى الإسكندرية ليس إلا أول الغيث،ويوجهون دعوة أغلب الظن إنها إلى البابا شنودة شخصيا،يقولون له فيها:«سلم أسرانا...وأسلم تسلم فالسيف بيننا».

هذه الدعوة ليست غريبة على الإطلاق عما تخطط له شبكة المجاهدين ولا عما يريده أصحابها،فقبل أسبوعين من حادث الإسكندرية الآثم نشرت الشبكة خريطة بمواقع وعناوين الكنائس المصرية المستهدفة فى احتفالات رأس السنة،وكان من بينها كنيسة القديسين،وهو ما يعنى أن الأمر كان مخططا له بعناية،وأن من فعل،كان يعى ما يفعله جيدا،فلا شيء يأتى صدفة على الإطلاق.

بجاحة المجاهدين الوهميين والواهمين تتواصل،فهم يوجهون رسالة واضحة وصريحة يقولون فيها:«نعم فأول الغيث قطرة،نعم لأجل امرأة مسلمة تجيش الجيوش من المسلمين،وإن أبيدت عن بكرة أبيها،أسوة بالرسول صلوات الله عليه وسلامه،تقبل الله منكم يا شباب مصر الأبى يا غيارى يا موحدون،هكذا يكون الكلام مع الأقباط».

إنه لم يكن كلام يا كلاب جهنم،كان قتلا وتشويها وتمثيلا بالجثث،ولا يحق لكم أن تقولوا : إن الرسول لكم أسوة...فلا أسوة ولا قدوة للمجرمين وسافكى الدماء،فأنتم قدوتكم الشيطان ....هو مولاكم وبئس النصير.

ولا تتوقف شبكة المجاهدين الواهمين والوهميين عن التحريض،فهى تدعو الشباب أن يقوموا،فهم شباب مصر الأباة،لأنه على ما يبدو أن لديهم مهمة يعتبرونها مقدسة ونعتبرها نحن مدنسة.

يقولون للشباب:«كونوا فداء لله،فلا ولن يضيركم الكفرة الظلمة المجرمون،فالجنات التى عرضها السموات والأرض هى الجزاء،أعدت للمتقين الموحدين المؤمنين الغيارى البررة».

رسالة القتل والدماء لا تزال تتواصل،لكنها هذه المرة موجهة إلى الأقباط،يقول المجاهدون الفاسدون:«ليس بيننا وبينكم يا أقباط المهجر والداخل إلا السيف،فقد انتهى وولى زمن المهادنات والتسامحات إلى غير رجعة،وما بدأناكم ولكن أنتم من

بدأ،وأنتم من تعاليتم وأطلقتم ألسنتكم بحق المسلمين والرسول صلوات الله عليه وسلامه،وأنتم من أسرتم وعذبتم إخواننا وأخواتنا الذين أسلموا لله الواحد القهار ولى المؤمنين هازم الأحزاب والكفار والمشركين فلا تلوموا شباب المسلمين الغيارى».

ليس صحيحا ما يقوله المجاهدون الفاسدون،فهم من أساؤوا إلى وجه الإسلام،وهم من أرغموا المسيحيين على أن يخرجوا فى مظاهرات حاشدة،فليس كثيرا على من نقتله أن يصرخ ويعترض على الظلم.

لكن من أوصل هؤلاء المجاهدين إلى هذه الدرجة من الحمق والتعالى والكذب على الجميع،إننى لا أعفى أحدا من المسؤولية،فعلى مدى ما يزيد على أربعين عاما والفتاوى التى تستهدف الأقباط لا تتوقف،فتاوى بتكفيرهم،وفتاوى بتحريم بناء كنائسهم،وفتاوى بتحريم دفنهم فى مقابر المسلمين.

وإذا أردتم فتوى واحدة،فهذا مثال واضح ....أورده شيخ السلفية الأكبر أبو إسحاق الحوينى فى إحدى خطبه الكثيرة،سأله أحدهم:هل يجوز أن ألقى السلام على المسيحى؟.

وكان رد الحوينى نصا:إذا قابلت النصرانى فلا تحييه بتحية الإسلام،قل له أى تحية،صباح الخير أو صباح الفل،وإذا وقع فى مشكلة لا مانع أن أقدم له يد المساعدة،لأن الرسول ﷺ قال:«دخل رجل الجنة فى كلب سقاه».

هل رأيتم إلى أى مدى تصل عدم اللياقة،لم يكن كلام أبي إسحاق الحوينى جديدا،قاله من قبله عمر عبد الكافى فى منتصف التسعينيات وقامت الدنيا عليه ولم تقعد،ولم تنته الأزمة إلا بعد أن ذهب واعتذر إلى البابا شنودة فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية،وكان بصحبة وزير الأوقاف محمد على محجوب.

لكن أبو إسحاق الحوينى وغيره قالوه،دون أن يعترض عليهم أحد،لم يقل لهم أحد هذا عيب أو أن ما تقولونه حرام وكفر ولا يليق،ويمكن أن يخلق جيلا لا يعرف العقل،وسيسعى إلى قتل الأقباط دون أن يشعر ولو بوخزة من ضمير،فلديه الغطاء الشرعى من شيوخه.

الأزمة هنا ولا يجب أن نفلتها على الإطلاق.

إننى لا أتهم الشيوخ أو الجماعات الإسلامية بأنهم من نفذوا مجزرة الإسكندرية،فهذا أمر سابق لأوانه، لكننى لا أعفيهم مطلقا من مسؤولية ما جرى، فقد زرعوا الأرض بالتطرف، فكان طبيعيا أن نحصد جميعا الأحزان، التى لا يستطيع أن يتحملها بشر.

الآن خرج الجميع ليقدموا فتاويهم التى تجاهد التطرف.

شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب يقول فى بيان له :إن هذا العمل محرم شرعا،وأن الإسلام أوجب على المسلمين حماية الكنائس كما يحمون المساجد.

مفتى الجمهورية الدكتور على جمعة قال كلاما مشابها.

الجماعة الإسلامية أدانت مرتكبى الحادث،وقال متحدثهم الرسمى: إن من نفذوا هذه الجريمة يخالفون تعاليم الإسلام التى تحرم التعرض لدور العبادة حيث أقر الإسلام حماية أهل الكتاب ، وحرم الاعتداء على المدنيين فى الحرب، فكيف يباح من أشخاص بارتكاب هذه الجريمة المروعة.

حتى الجماعات السلفية أصدرت بيانا تستنكر فيه الجريمة البشعة،وتعلن من خلاله أن المنهج الإسلامى الذى تتبناه هذه الجماعات والقائم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يرفض هذه الأساليب التى تخدم أهداف من لا يريدون بمصرنا خيرا.

أين كان هؤلاء جميعا والفتاوى التى تحرق الأقباط وتكفرهم وتعتدى على حرماتهم تتلى من على منابر المساجد وتتعاقب فى الفضائيات؟

أين كان هؤلاء والتطرف يمرح فى كل مكان فى مصر ..قاصدا الأقباط ولا أحد غيرهم؟

هل أفاقوا الآن؟

للأسف الشديد لقد أفاقوا بعد أن فات الأوان، فالتطرف المتأسلم أخرج الغضب القبطى من جعبته، ولا أعتقد أن هذا الغضب يمكن أن يخبو أو يتوارى،إن هناك من يطالب بالانتقام....بالقتل ...بالترويع،وهؤلاء لا يمكن أن نلومهم...فلا يمكن أن تذهب لأهل قتيل لتلومهم على أنهم يريدون القصاص..فهذا أقل العدل.

إن الفتوى التى لابد أن تصدر – رغم أننى أعرف جيدا أن المسيحيين لا يريدون فتاوى الآن ولا ينتظرونها ولا يعترفون بها – هى فتوى تعلن أن دماء الأقباط حرام ....من يعترض طريقهم يغضب الله عليه، من يستحل دماءهم ملعون ولابد أن يقتل على الفور بلا رحمة ولا هوادة.

ستقولون أن شيوخ السلفية وشيوخ الأزهر وكل الشيوخ فى الدنيا فعلوا ذلك ..أقول لك: إنهم فعلوه بعد أن خربت مالطة.

ثم إن الفتوى التى أريدها ...ليست من الشيوخ، فهؤلاء من الآن يجب ألا يكون لهم شأن بنا، ليتركونا نعيش حياتنا بعيدا عن تطرفهم وتحجرهم وعدائهم وخصامهم للحياة.

إن الفتوى التى نريدها جميعا فتوى قانونية...القانون الذى يحكمنا جميعا، الذى يتعامل مع الجميع على أنهم مواطنون لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات...لا مكان للتفرقة على أساس الدين، فلا حاجة لنا لأن نقول: إن هذا مسلم وهذا مسيحى...هذا تخلف مطلق لابد أن نتخلص منه.

لقد فزع شيوخ التطرف عندما رأوا أن الغرس الذى غرسوه طوال السنوات الماضية كان نتيجته القتل والذبح ..مجزرة سيظل المصريون يذكرونها طويلا، لن يتخلصوا من كابوسها بسهولة....ولذلك سارعوا للتخلص من آثار الدماء التى ستظل تطاردهم إلى قبورهم.

إن الأحزان التى يعيشها المصريون لا يمكن لأحد أن يتحملها أو يستوعبها....لم أر حزنا عاما وشاملا،مثلما رأيت بعد أن وقعت مجزرة الإسكندرية...لقد شعر الجميع أن الحياة تتفلت من بين أصابعهم ...تنتهى ..تتلاشى ..فلا قيمة لشيء.. أى شيء ...حتى الكلام لم يعد له أى قيمة،فما الذى يمكن أن يقدمه الكلام للقلوب المكلومة والنفوس الجريحة والأرواح التى أصبحت كسيحة...لا شيء.

زهقنا جميعا من الكلام..لكن ولأننا لا نملك غيره..فسنظل نحارب بالكلمة،كل من يريدون أن يدخلونا إلى القبور ..رغم أننا نستحق الحياة، من يحرمون علينا عيشتنا ويريدون أن يقتلوا البسمة ويخطفوا الفرحة...هؤلاء ليس

لهم إلا الموت ...فحاربوا جميعا من أجل أن نبقى ..على الأقل من أجل أن نبقى.

***

هنا ملمح لابد أن أسجله هنا...فليس بعيدا أن تكون المواقع المتطرفة التى هاجمت وحرضت وشمتت من صنع جهاز أمن الدولة،فطالما أنه نفذ المجزرة،فكان ضروريا أن يكون لديه غطاء يحتمى به ويلفت به الانتباه عنه.

لا أقول : إنه حرض أصحاب هذه المواقع،بل أذهب إلى أن هذه المواقع من صنعه هو ...فالتطرف فى النهاية كان من صنع أمن الدولة،وكثيرا ممن كانوا ينتمون إلى الجماعات الإسلامية كانوا يتعاملون مع الجهاز،ولن أتجاوز إذا قلت أنهم كانوا عملاءه.

***

على خريطة أمن الدولة ظهرت شخصية لا تزال مريبة وملتبسة هى شخصية الشيخ أبو يحيى...الذى كان بطل قصة كاميليا شحاتة ....ثم ظهر بعد ذلك وبقوة فى أحداث كنيسة إمبابة.

ففى ٢٠ يوليو ٢٠١٠ تم تسجيل هذه المكالمة بين الشيخ أبي يحيى وأحد ضباط أمن الدولة.

أبو يحيى: مين؟

الضابط: أنا الضابط «ح» من أمن الدولة بالمنيا.

أبو يحيى: أهلا يا باشا

الضابط:كاميليا معاك.

أبو يحيى: كاميليا مين ؟

الضابط: دى واحدة هاتجيلك ...لو جت لك يا أبي يحيى اتصل علينا.

أبو يحيى:حاضر يا باشا

بعد دقائق يتلقى أبي يحيى مكالمة أخرى من رئيس مكتب أمن الدولة بالمنيا.

أبو يحيى:أهلا يا باشا.

الضابط:كاميليا معاك.

أبو يحيى: لا يا باشا ده حاتم بيه لسه سائلنى نفس السؤال حالا..حضرتك ليه بتسألنى أنا بالذات.

الضابط: احنا عرفنا إن ميولها إسلامية واحتمال تجيلك.

أبو يحيى:خلاص لو جتلى هاديلك خبر.

لا تهمنى قصة كاميليا شحاته زوجة كاهن دير مواس تداوس سمعان،فقد جرت فيها وبها أكبر عملية خداع وعبث،وصلت رغم تهافتها إلى أن أصبحت أيقونة للصراع بين المسلمين والمسيحيين،وخرجت مظاهرات حاشدة يطالب فيها السلفيون بأختهم كاميليا.

وحتى عندما خرجت عليهم أختهم كاميليا تتحدث وهى إلى جوار زوجها أنها لم تخرج عن دينها أبدا،أصر السلفيون مرة على أنها ليست هى،ومرة ثانية أنها أجبرت على العودة إلى المسيحية مرة أخرى،وطالب البعض بتفتيش الأديرة لتحرير كاميليا وأخواتها من الأسر المسيحى.

لكن ما يهمنى أن الشيخ أبو يحيى كان متجاوبا للغاية مع رجال أمن الدولة،بل إنه وعد رئيس مكتب أمن الدولة بالمنيا،أنها لو جاءت إليه فإنه سيخبره بذلك.

ما جرى فعلا أن أبا يحيى راوغ أمن الدولة،فعندما ذهبت كاميليا شحاته إليه – طبقا للرواية الإسلامية للحكاية بالطبع – ذهب بها إلى مشيخة الأزهر لتعلن إسلامها من هناك.

لكن يبدو أن أمن الدولة كان قد عرف بما يفعله أبو يحيى،فعندما ذهبوا إلى الشيخ المسؤول عن إشهار الإسلام،تعلل بأن الوقت تأخر،وطلب منهم أن يأتوا فى اليوم التالى وهو الخميس ٢٢ يوليو ٢٠١٠.

فى اليوم التالى لم تتمكن كاميليا من إشهار إسلامها،فقد كانت بياناتها لدى لجنة الإشهار التى تشاجر أحد أعضائها مع أبى يحيى،وطبقا لتقارير السلفيين عما جرى،خرج أبو يحيى مع كاميليا وركبا تاكسى وذهبا إلى مقر عمل أبى يحيى « المركز الدولى لاستيراد وتعليم صيانة المحمول»،فى منتصف شارع عبد العزيز بالقاهرة،وكان أبو بكر فيصل المحامى قد سبق أبو يحيى وكاميليا إلى المركز

الدولى بسيارة أبو يحيى،وجلس الثلاثة هناك إلى أن انصرفوا فى الحادية عشر مساء،متجهين إلى مسكن أبى يحيى،وأثناء سيرهم أمام محطة الأوبرا،كان أبو يحيى على اتصال بزوجته،إلا أن الاتصال انقطع بينهما.

فى اليوم التالى الجمعة ٢٣ يوليو اتصل أبو يحيى بزوجته وأخبره أن أمن الدولة ألقت القبض عليه هو وكاميليا والمحامى،لكن أبو بكر فيصل كان قد أفرج عنه بعد أن تأكدت مباحث أمن الدولة أنه لا علاقة له بموضوع كاميليا من الأساس....وفى يوم الجمعة أعلنت الكنيسة أن كاميليا عادت إلى الكنيسة وأنها كانت لدى أقاربها فى القاهرة.

بعد ٢١ يوما كاملة سمع أبو يحيى الذى أفرج عنه من مقر أمن الدولة،لم يصمت الرجل بل أدلى بشهادته على ما جرى إلى موقع «المرصد الإسلامى»... وهو موقع متخصص فى التصدى لعمليات التنصير التى تجرى فى مصر،أو ما يتوقع أنها تجرى.

قال أبو يحيى عن لحظة القبض عليه:« بينما نحن الثلاثة أنا وكاميليا والمحامى أمام محطة مترو الأوبرا وجدنا الطريق مغلقا،وأحاط بالسيارة مجموعة من الرجال يرتدون ملابس مدنية،ضربونى على رأسى وذهبوا بنا إلى مبنى أمن الدولة، وقام بتخييط رأسى ثلاثون غرزة ضابط طبيب وبدأ التحقيق معنا».

يكمل أبو يحيى ما جرى:« سألوا كاميليا: أبو يحيى اختطفك؟ قالت:لا أنا الى رحت له بإرادتى ليساعدنى فى أو ق شهار إسلامى،وأنكرت معرفتها بالمحامى أبو بكر فيصل،أمرنى الأمن أن أتصل بزوجتى،لتسليم شنطة ملابس كاميليا مع مخبر لرفض القساوسة استلامها بالنقاب،ونقلونى ليبدأ التحقيق معى».

كشف أبو يحيى ما قال :أنه حدث معه:« تم تجريدى من ملابسى،وتعصيب عينى وكهربونى فى أماكن حساسة فى جسدى،وهددونى بأنى لن أرى النور إذا حدثت أحدا بإسلام كاميليا أو أنها جاءتنى أصلا».

لا يمكن أن تفصل فى شكل العلاقة بين أبى يحيى وأمن الدولة،فالمسافة بين طلبهم منه التعاون وإخبارهم إذا ما أتته كاميليا ...ثم إلقاؤهم القبض عليه وتعذيبهم وتهديده طويلة وغامضة جدا.

لكن المفاجأة أن أبا يحيى ظهر مرة أخرى فى حادث إمبابة ....وهذه قصة طويلة لابد أن تروى ...لأن أبو يحيى لم يكن وحده.

الثامنة مساء السبت ٧ مايو ٢٠١١،كان الموعد الذى ستظهر فيه كاميليا شحاته والقس تداوس سمعان كاهن كنيسة دير مواس على قناة الحياة التبشيرية التى تبث من قبرص،لتعلن أنها لا تزال مسيحية،وأنها لم تدخل الإسلام أبدا،وأنها تعيش مع زوجها وابنها الصغير أنطون...فى انفراد للمذيع المغربى المتنصر رشيد الذى يقدم برنامجه «سؤال جرئ» على شاشة القناة منذ سنوات.

كانت الكنيسة قد غسلت يديها من قضية كاميليا كلها،وأعلن البابا شنودة فى جلسة خاصة حضرها سكرتيره الخاص الأنبا أرميا أنه لن يدخل مع السلفيين فى مواجهة،فهو لو طلب من كاميليا أن تظهر،فإن السلفيين لن يقتنعوا بذلك،ستكون لهم مطالب أخرى ....فهو يعرفهم جيدا،فالهدف بالنسبة لهم ليس كاميليا ..ولكن كسر أنف الكنيسة،وإذا ظهرت كاميليا وقالت: إنها مسيحية،فمؤكد أنهم سيبحثون عن ضحية أخرى،تكون حجتهم فى مواجهة الكنيسة.

لم يكن البابا شنودة يقرأ الغيب أو يضرب الودع،فهذا ما حدث تماما،وبدقة متناهية....لكن فى إمبابة هذه المرة.

فى اللحظة التى ظهرت فيها كاميليا،كان القمص عبد المسيح بسيط معى على التليفون ليقول لى : إن السلفيين الآن يهاجمون كنائس إمبابة،بحجة أن هناك فتاة محتجزة فى إحداها ...وأنه يسمع ضرب النار ...وأن هناك من أكد له أن السلفيين صعدوا إلى بيوت الأقباط وأنهم يلقون بهم من البلكونات.

كان ما نقله لى عبد المسيح بسيط – رغم انفعاله - جزء فقط من الصورة، فما كان يحدث على أرض إمبابة وقتها – المدينة التى كانت فى التسعينيات مقرا ووكرا للجماعات الإسلامية – كان أشبه بالحرب الأهلية التى تدور رحاها بين المسلمين والأقباط،دون أن يمنح أحدهم فرصة للعقل أن يتدبر الأمر.

لم تنته الحرب حتى خلفت وراءها وبالأرقام ١٢ قتيلا و٢٤٢ جريحا و٣٠٠ معتقل،تم تحويل ١٩٠ منهم للنيابة العسكرية،من المنتظر أن تصدر ضدهم

أحكام خلال أسبوع على الأكثر – بعد حوالى ١٠ شهور تم الإفراج عن كل من قبض عليه على ذمة أحداث إمبابة – .

القصة بدأت كما رواها أطرافها المتناقضون،بحكاية عبير طلعت فخرى التى أسلمت وتريد الكنيسة أن تعيدها مرة أخرى، وياسين ثابت الذى حاول أن يحررها من أسر الكنيسة.

توجه ياسين إلى إمبابة ليحررها بنفسه،اجتمع حوله مجموعة من السلفيين،الذين هاجموا كنيسة العذراء فى منطقة البصراوى بشارع الأقصر،ثم توجهوا إلى كنيسة العذراء بشارع الوحدة وأحرقوها،بعد أن سرت شائعة بأن المسحيين يحرقون مسجد التوحيد المقابل للكنيسة فى نفس الشارع.

الأقباط قالوا : إن السلفيين هم من بدؤوا بإطلاق النار،والسلفيون قالوا :إن الأقباط هم الذين بدؤوا الهجوم من شرفات بيوتهم التى تحيط بالكنيسة،وأنهم أطلقوا النار،وهو ما استفز السلفيين ومن يقفون معهم،فبدأت الحرب بين الطرفين.

إذا تركنا أنفسنا لما يقال ويتردد فلن نصل إلى الحقيقة أبدا.

فالحقيقة الآن فى مصر هى تلك التى لا يمكن أن يصل إليها أحد.

ولذلك فإن الحدث بتفاصيله لا تهمنا،ولكن يهمنا من يقفون خلفه ويشعلون فيه النار ..وهنا لا نبرأ أحدا ..فالكل متهم ..والكل مدان ..والكل يجب أن يعاقب .. فالحرب التى دارت على أرض إمبابة وقعت بين العناد القبطى الضخم والتشدد السلفى،وهو تشدد تحول إلى بلطجة متناهية ..بعد أن وقف المجتمع كله عاجزا أمام ممارسات السلفيين..وهو ما يجعلنا ننظر إلى ما جرى هناك من زوايا مختلفة..لكنها أوضح من حالة التيه التى يريد الجميع أن يدفنوا الموضوع فيه،فلا نصل إلى حقيقته أبدا.

***

بعد ساعات من اندلاع أحداث إمبابة خرج الشيخ عبد المنعم الشحات،الذى يقدم نفسه على أنه المتحدث باسم الدعوة السلفية بتعليق،قال فيه : إن أحداث إمبابة كانت فخا للسلفيين،وأن هناك من استدرجهم من أجل أن يقعوا فيها،ويصبحوا أمام المجتمع من فعلوها،رغم أنهم منها براء.

تعليق الشحات لم يكن وحده رد فعل الدعوة السلفية،ولكن كان هناك بيانٌ من شيوخها الكبار،حمل توقيع كل من الشيوخ محمد عبد المقصود، ومحمد حسان وصفوت حجازى (الذى قدم نفسه هذه المرة على أنه سلفى رغم أنه أعلن أكثر من مرة سابقة أنه ليس من الجماعة السلفية) ومحمد عبد السلام.

ركز بيان السلفيين الذى صدر صباح اليوم التالى للأحداث مباشرة ٨ مايو على استنكار الدعوة السلفية للأحداث الدامية التى وقعت فى إمبابة من سفك الدماء المعصومة واستعمال للأسلحة النارية وغيرها،وحذر شيوخ السلفية من دفع البلاد إلى هاوية الفتنة،مؤكدين على أهمية التعايش السلمى بين المسلمين والأقباط الشركاء فى وطن واحد.

وكما استنكر شيوخ السلفية ما جرى،فقد استنكروا وبنفس الدرجة موقف الإعلام المغرض (هم أطلقوا عليه كذلك) الذى يزج باسم السلفية فى مشاكل ليست من صنعهم ولا توجيههم ولا منهجهم فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والاجتهاد فى نفع المجتمع والحض على سلامة أفراده.

ولم ينس شيوخ السلفية أن يغمزوا ويلمزوا فى موقف الأقباط،حيث أكدوا خطورة الإستقواء بالخارج (عدد من الأقباط لجؤوا إلى السفارة الأمريكية بعد الأحداث وطالبوا بحمايتهم دوليا مما يجرى لهم على يد السلفيين) وجريمة المطالبة بالتدخل الأجنبى فى شؤون مصر،فأبناء مصر – كما يقولون – قادرون على حل مشاكلهم بأنفسهم وحماية جميع أبناء البلاد على اختلاف أديانهم.

أبرأ شيوخ السلفية بعد ذلك ذمتهم أمام الله والوطن، فقدموا حلا للأزمة،حيث قالوا:نؤكد أن العلاج لمثل هذه المشاكل إنما هو فى بسط سلطة الدولة على جميع الأماكن والأفراد،وألا يكون أحد فوق المساءلة القضائية على ما يرتكب من مخالفات،وضرورة التخلص من ممارسات النظام السابق الذى أشعل الفتنة بتسليم مواطنين مصريين لجهات ليس لها حق احتجازهم (لاحظ هنا أن حسان ورفاقه يغمزون ويلمزون مرة أخرى بأن الأقباط يحتجزون فى الأديرة مسلمات،وأن ذلك تم بمساعدة نظام مبارك ...وهذا هو سبب الفتنة فى الأساس).

طالب شيوخ السلفية أيضا بضرورة جمع الأسلحة خاصة النارية من جميع من ليس لهم صفة شرعية فى حملها وضرورة تفتيش المساجد والكنائس والمؤسسات (وضع الشيوخ المساجد فى سياق البيان من باب زر الرماد فى العيون فلم يقل أحد من الأقباط أن المساجد بها أسلحة...لكن العكس هو ما يقال دائما) للبحث عن الأسلحة ومصادرتها لمنع ارتكاب الجرائم الدموية،كما طالبوا أيضا بمحاكمة عاجلة سريعة للمشتركين فى سفك الدماء بغير حق وإنزال العقوبة الرادعة بمن تثبت إدانته.

بيان شيوخ السلفية رغم وضوحه، إلا أنه يعزف على نفس النغمة التى تشير إلى أن أيدى السلفيين نظيفة مما جرى،وأن هناك من خطط ودبر وأحكم الفعل،ثم جاء من يلفق التهمة للسلفيين،وهو تلفيق محض وكذب مفضوح ...وتدليس مقصود،وكأنى بالجماعة السلفية وشيوخها الكبار مثل جهاز أمن الدولة السابق الذى كان يقتل القتيل ثم يمشى فى جنازته،فهذا ما فعله محمد حسان ورفاقه فى بيانهم، فقد قتلوا القتيل- أو على الأقل حرضوا عليه.

***

لن نضع أيدينا على اتهامات مرسلة،أو كلام معاد ومكرر عن تورط السلفيين فى معركة إمبابة،فلدينا تسجيل بالصوت والصورة،اطلع عليه الكثيرون من المصريين عبر موقع اليوتيوب الشهير،وعلى صفحات الفيس بوك التى تداولته بصورة كبيرة خلال الأيام الماضية.

الفيديو يظهر فيه شيخ سلفى شاب،يتحدث لمجموعة تقف إلى جواره يقول (والكلام نصا):«احنا سمعنا إن فيه أخت محتجزة فى كنيسة،زى اللى بيحصل فى العادة،الكنائس دلوقت بقت عبارة عن عصابات،مافيا للأسف،أى واحدة تسلم،فالكنيسة برئاسة الكلب النجس شنودة،والكلمة دى لازم تطلع (موجها كلامه لمن يسجل معه) واخد بالك،احنا رايحين عشان نحل،رايحين وواخدين مجموعة من المشايخ،داخلين جوه قلب الكنيسة عشان نحل الإشكال،لكن ولا قسيس اتحرك.

واحد تقول له:احنا جايين نحل،يقول :حتى انتم لو عاوزين تحلوا إحنا عاوزنها تولع نار....كده فى وشى، ده حدف على ده ...وده حدف على ده،هم

معاهم نار وأسلحة،دايما بنقول إن الكنائس مليانة أسلحة،والمسلم يعنى مسكين معاه قزازة بيحدفها، إنما النصرانى معاه نار،(يوجه كلامه إلى من يحيطون به) سامعين كلكم يا مسلمين...واخدين بالكم ...النصارى كلهم معاهم أسلحة واحنا مغفلين ...احنا كمسلمين مغفلين....انتم سامعين،ضرب النار كله جاى من كلاب النصارى،من ناحية الكنيسة،المسلم يا عينى رايح بطوية،فمنبقاش رجالة لو ما ولعناش الكنايس كلها اللى فى إمبابة». ينتهى الفيديو بأن ينصرف الشاب السلفى متوجها لينفذ تهديده ووعيده على ما يبدو.

الشاب السلفى لم يكن إلا الشيخ أشرف أبو أنس الذى يتم تعريفه على المواقع السلفية نصا بأنه:«أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن....مصرى وعمل فى دار هجر قسم اللغة العربية،وهو من طلبة العلم الجيدين،وعنده همة عالية وذو أدب جم (لا حظ أن هذا الرجل الذى يوصف بأنه ذو أدب جم وصف البابا شنودة بأنه كلب نجس وقال على النصارى أنهم كلاب)،وغيور على العلم والعلماء،وعنده اهتمام خاص بكتب ودروس الشيخ ابن عثيمين (أحد شيوخ الوهابية الكبار فى السعودية)،فطلب العلم من فترة على أيد بعض المشايخ،ثم عكف على أشرطة الشيخ بن عثيمين قبل أن تطبع،وكان يفرغها ويعلق على مواطن للتوضيح أو يذكر رجوع الشيخ عن المسألة،فهو يكاد يحفظ كلام الشيخ كله وفتاويه،فخرج له شرح نظم الورقات،وشرح الأجرومية،وله بحث عن حكم المشى بين القبور بالنعال فى موقع المشكاة،وله مقال عن أهمية علم اللغة فى موقع الألوكة وغيرها،وهو من منطقة إمبابة فى الجيزة،ويعطى أكثر من محاضرة فى أكثر من مسجد».

إننى لا أعرف أشرف أبو أنس شخصيا،وقد يكون متخصصا فى علم النحو،فكنيته بالفعل هى النحوى،وقد يكون مدرسا جيدا رغم أنه خريج كلية التجارة،لكن ما قاله يجعلنى أعتبره واحدا من صناع الفتنة الطائفية فى إمبابة

***

فى حادث إمبابة ظهر أيضا اسم اثنين من السلفيين المعروفين بنشاطهما فى الملف القبطى،وهما الدكتور حسام أبو البخارى والشيخ أبو يحيى (هنا يظهر أبو

يحيى مرة أخرى) ....وكل منهما كان معروفا قبل واقعة إمبابة ....وهو ما يحتاج إلى مزيد من التفصيل.

أبو حسام البخارى وبعد أحداث ٢٥ يناير،ظهر على السطح بائتلاف يسمى «دعم المسلمين الجدد»...،ويضم فى عضويته كل من الشيوخ : حافظ سلامة (السويس)،محمد عبد المقصود (القاهرة) ، عبد المنعم الشحات (الإسكندرية)، عبد المنعم البرى (جبهة علماء الأزهر) ،خالد حربى (المرصد الإسلامى)، على عبد الحميد (منتديات شباب الدعوة)،الدكتور هشام كمال (موقع حكاية كاميليا) ،أحمد عارف (جماعة الإخوان)،نزار غراب وعلاء علم الدين (مستشارون قانونيون) ، أبو يحيى مفتاح فاضل (الشاهد الرئيسى فى قضية كاميليا) ،و أصبح حسام أبو البخارى (موقع كاميليا شحاته دوت كوم) هو المنسق الإعلامى والمتحدث الرسمى باسم الائتلاف،ومن خلال بيانه التأسيسى،يمكن أن نعرف ما الذى يريده هذا الائتلاف.

يهدف الائتلاف الذى تأسس فى ٢١ مارس ٢٠١١،من خلال العمل على إدارة أزمة المسلمين الجدد إلى وأد الفتنة وقطع الطريق على مثيرى الشغب ومفجرى الفتنة الطائفية بفك أسر المسلمين الجدد المعتقلين لدى الكنيسة وعلى رأسهم الأخوات المسلمات،وهن : وفاء قسطنطين (أبو المطامير ....البحيرة)، ومارى عبد الله (زوجة كاهن الزاوية الحمراء)،و كاميليا شحاتة (ديرمواس .المنيا) ود.مريان مكرم (الفيوم)،د.تريزا إبراهيم (الفيوم) والأخت عبير إبراهيم (ملوي . المنيا) والأخ إيليا نبيل عياد (المطرية).

ويسعى الائتلاف كذلك إلى محاسبة كل من تورط فى خطف أو اعتقال أو تعذيب أى مسلم حديث الإسلام،وتوفير الحماية القانونية والحقوقية لكل من يريد اعتناق الإسلام.

أعلن الائتلاف فى البداية أنه سيلجأ إلى كل السبل الشرعية،وطرق كل الأبواب السلمية والقانونية لإدارة هذه الأزمة،إدارة تتحقق معها أهداف الائتلاف من خلال تنويع العمل،وتقسيم الجهود وفق القدرات والاختصاصات،ووضع الائتلاف أربعة محاور لإدارة الأزمة (والكلام لبيان الائتلاف نصا)هى:

الإعلامى... من خلال إثارة القضية بتركيز وكثافة فى شتى وسائل الإعلام، من خلال البرامج الحوارية المرئية على القنوات الفضائية،والصحف الورقية والمواقع الإليكترونية من منتديات ومدونات ومواقع التواصل الاجتماعية «الفيس بوك وتويتر»،وكذلك تنظيم المؤتمرات الجماهيرية الحاشدة للتوعية بالقضية وأبعادها الشرعية والاجتماعية والسياسية الحقوقى القانونى.... وذلك من خلال فريق عمل قانونى لمتابعة القضايا المرفوعة للأخوات الأسيرات، وجمع المستندات والوثائق والدلائل والشهود، والاتصال بمنظمات حقوق الإنسان، وكل ما من شأنه تحقيق العدالة القضائية وإعطاء الحرية المنشودة لإخواننا وأخواتنا الأسيرات.

التفاوضى.... من خلال التواصل الفعال والشفاف مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ورئاسة الوزراء، وجميع الهيئات والمؤسسات التى قد تفيد فى سبيل تحقيق الغرض المنشود.

السياسى..... وذلك عبر جميع وسائل الاحتجاج السلمى، وكل المتاح قانونا من طرائق الضغط على صناع القرار السياسى، بترتيب الوقفات والاعتصامات والتظاهرات السلمية، واختيار الوقت المناسب والمكان الملائم لها، والإعلان عنها قبلها بفترة زمنية مناسبة في المواقع الرسمية للائتلاف.

استند شيوخ الائتلاف إلى أنهم بعملهم هذا يمتثلون أمر النبى ﷺ حيث قال:فكوا العانى (الأسير)،كما أن علماء المسلمين جميعهم أجمعوا على وجوب استنقاذ الأسير وافتدائه عند القدرة،خاصة إذا كان هذا الأسير امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة قد تفتن فى دينها،وقد تتعرض لأذى نفسى وجسدى،لا لشئ إلا لاختيارها الحر لعقيدة ارتضتها من غير ضغط ولا إجبار.

ولأن البيان لابد أن يكون مثاليا جدا، فقد أشار إلى أن أعضاء الائتلاف سيكونون حريصين على وأد الفتنة وسد أبوابها ومناقذها،ومنع الفوضويين والمندسين والعبثيين من التسبب فى تعقيد الموقف وتصعيده،والدخول فى نفق مظلم لا يعلم المخرج منه إلا الله،موازيين دائما وأبدا بين قضيتهم المشروعة

وبين ما يحتاجه الوطن من استقرار.

ما حدث على أرض الواقع أن الائتلاف وتحديدا متحدثه الرسمى حسام أبو البخارى لم يلتزم بما قاله، فلم يكن تحركهم سلميا بأى حال من الأحوال،صحيح أنه قاد مظاهرات من أجل كاميليا،وأجرى اتصالات مع المسؤولين وعلى رأسهم المجلس الأعلى للقوات المسلحة من أجل كاميليا،لكنه فى قضية عبير بإمبابة لم يفعل ذلك.

وهنا يظهر الاسم الثانى وهو الشيخ مفتاح فاضل،الذى صنع منه الإعلام أسطورة،رغم أنه وكما بدا من وثائق أمن الدولة التى تم تسريبها،ومن خلال تصريحاته فى قضية إمبابة، لم يكن إلا عميلا من عملاء أمن الدولة الموجودين فى صفوف السلفيين.

قال أبو يحيى: إنه عرف بأن ياسين ثابت (الذى قيل :إنه زوج عبير المختطفة) اتصل بالدكتور حسام أبو البخارى وأخبره أن زوجته مختطفة ومحتجزة فى إحدى كنائس إمبابة،وأنه يريد أن يحررها،وأن الدكتور حسام أرسل له مجموعة من السلفيين ليساعدوه فيما يريد أنْ يفعله.

كان من السهل على أبي يحيى أن يعرف تفاصيل المكالمة بين ياسين وحسام،فهو زميل حسام فى ائتلاف دعم المسلمين الجدد،المفاجأة أن أبا يحيى كان من أخبر المجلس العسكرى بما سوف يفعله ياسين،لكن يبدو أنه تأخر فى الإبلاغ،والدليل أن قوات الأمن سواء من الجيش أو الشرطة كانت قد وصلت إلى إمبابة بعد أن وقعت الواقعة بالفعل.

لقد ظل الشيخ أبو يحيى مصرا على أن كاميليا شحاته ذهبت إليه فى بيته،وطلبت منه أن يساعدها فى إشهار إسلامها،وأنه عندما توجه بها إلى مشيخة الأزهر،اعتقله ضباط أمن الدولة،وأخذوا منه كاميليا وسلموها إلى الكنيسة،وهو ما نفته كاميليا شحاته تماما،فهى وكما قالت على قناة الحياة التبشيرية،لا تعرف أحدا اسمه أبو يحيى،وأنها لم تقابله،ولم تطلب منه أن يساعدها فى إشهار إسلامها.

وقد تردد أن أبا يحيى هذا كان أحد المتعاونين مع أمن الدولة،وأنه عرف بحكاية كاميليا وخلافها مع زوجها،وأنه من أبلغ أمن الدولة عنها،وأنه من قادهم

إليها،ومكنهم من أن يقبضوا عليها ويسلموها للكنيسة، ثم خرج بعد ذلك ليعلن أنه ضحية من ضحايا أمن الدولة.

كان هذا هو الظهور الوحيد لأبي يحيى فى قضية إمبابة،لكن حسام أبو البخارى كان موجودا فى إمبابة بشخصه،ومن خلال فيديو مستقطع من أحد برامج قناة الناس يتأكد لنا أنه كان موجودا فى إمبابة وقت الأحداث،بل إنه دعا المسلمين إلى أن يتوجهوا إلى إمبابة ليخلصوا أختهم المسلمة،وهو ما يؤكد أنه تخلى عن كل ما أورده فى بيانه السلمى، فقد قرر أن يحرر عبير بنفسه،وأن يساعد زوجها فى ذلك.

حسام أبو البخارى أصبح وجها معروفا لدى الأقباط،بل إنه يدخل معهم فى مناقشات مطولة،والانطباع الأول عنه لديهم أنه شخص يريد الاصطياد فى الماء العكر،وأنه يميل إلى العنف والتشدد،ولا يبدى أى مرونة فى المناقشة.

لقد جعل حسام أبو البخارى من قضية كاميليا شحاته قضية عمره،وعلى موقع«الأخ المسلم» وبتاريخ ١ مايو ٢٠١١،وجدت هذه التهنئة نصا:«رزق اليوم أخونا الدكتور حسام أبو البخارى بمولودته الأولى التى سماها كاميليا تيمنا بأن تكون هذه الولادة بشارة خير لولادة كاميليا الكبرى وخروجها من ظلمة الأسر،أخى الحبيب حسام بارك لك فى الموهوب وشكرا للواهب..وأسأل الله عز وجل أن يحفظ من بين يديك ومن خلفك وأن يجعل عاقبة أمرنا يسرا».

لكن لا أدرى الآن ماذا سيكون موقف الأخ حسام أبو البخارى بعد أن أعلنت كاميليا شحاته أنها لا تزال مسيحية،وأنها تعيش مع زوجها ...هل يمكن أن يغير اسم ابنته مثلا...يبدو أنه فقد الأمل فى كاميليا،ولذلك على الفور بحث عن قضية أخرى...ووجد ضالته فى عبير فتاة إمبابة التى قرر أن يساهم- بنفسه وبتحريضه للسلفيين الآخرين - فى تحريرها من أسرها.

***

هذه الواقعة بعيدة زمنيا عن واقعة إمبابة،لكنى أعتقد أنها وثيقة الصلة جدا بها ،وهى واقعة موثقة بالفيديو أيضا،بطلها هذه المرة الشيخ محمد الزغبى،وهو داعية سلفى،وإن كان لا يخفى انتماءه للأزهر،من خلال ظهوره من آن لآخر بزيه الأزهرى.

قبل حادثة إمبابة بعدة أسابيع وقف الشيخ الزغبى فى مظاهرة نظمها السلفيون أمام مسجد النور بالعباسية وعلى بعد خطوات من الكاتدرائية الكبرى بالعباسية،ليهدد ويتوعد،ويقول بالنص:«إذا لم تحل الأزمة (كان يقصد أزمة كاميليا شحاته) خلال عشرة أيام سوف أذهب إلى الأديرة مع الشباب لإخراج كاميليا ووفاء».

أثار تصريح الشيخ الزغبى الذى كان متحمسا للغاية الأقباط،وأشعرهم بالرعب،كان الرجل مستفزا وخارجا على القانون فى آن واحد،والغريب أنه كتب على موقعه توضيحا لتصريحه هذا قال فيه:«إعلان الشيخ محمد الزغبى أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة سيقوم بالنظر في القضية (اختفاء كاميليا شحاتة) وحلها وقد ذكر الشيخ أنه إذا لم يأخذ المجلس الأعلى خطوات إيجابية سيتم الانتقال للحل الثانى وهو اللجوء إلى القضاء والحل القانونى، وترك الحل الأخير، فى حالة فشل الحلول السابقة سنلجأ إلى التوجه إلى الدير لإخراجها سلميا بالتفاوض مع القائمين على الدير....وذلك لأن الشيخ ينبذ العنف ويدعو إلى حسن التعايش مع الأقباط ويوصى بهم خيرا ،وحلقات الشيخ خير دليل على ذلك، وفى ذلك يؤكد الشيخ أن المطالبة بإخراج كاميليا شحاتة هو من باب حقوق الإنسان لأنها مصرية فى البداية والنهاية ولا يحق لأحد احتجازها».

يكذب من كتب هذا التعليق كذبا واضحا لا لبس فيه،فالشيخ كان يهدد ويتوعد،ولم يكن هناك فى كلامه أى مساحة لنبذ العنف أو الكلام عن حقوق الإنسان،والفيديو لا يزال موجودا،لمن يحب أن يراه على اليوتيوب،ولا أدرى لماذا يريد الشيخ أن يستخف بعقول من يسمعون إليه،وكيف ستكون صورته بعد أن يعرف من سيسمعه أنه كان كاذبا.

لكن ما علاقة ما قاله الشيخ الزغبى بحادث إمبابة؟

إن العلاقة واضحة، فقبل تهديد الشيخ الصريح والواضح،كانَ السلفيون يقومون بمظاهرات ويتحدثون بالفعل مع الجهات المختصة من أجل إنهاء قضية كاميليا،لكن بعد كلام الشيخ أصبح هناك حل آخر،وهو أن يقوم أتباعه باقتحام الأديرة وإخراج المختطفات منها،وهو ما حدث فى إمبابة بالفعل، فقد اقتحموا الكنيسة من أجل البحث

عن عبير،ولا يستطيع الشيخ أن ينكر أنه مسؤول بشكل أو بآخر عما جرى.

إننا أمام تحرك واضح من قبل السلفيين ومن يسيرون على هواهم،فقضيتهم الكبرى مع الكنيسة،والمواجهة حادة بينهما،ولا علاقة للمختطفات بالأمر إلا أنهن مجرد حجة،وقد يكون صحيحا أن نقول : إنه بمجرد ظهور كاميليا شحاتة وإعلانها أنها ما زالت مسيحية ولم تشهر إسلامها،كان أن وجد السلفيون فى قصة عبير قصة جديدة لإحياء حربهم ضد الكنيسة...وليس بعيدا أن يكونوا هم من اختلقوا القصة من الأساس،وأنهم من جاؤوا بياسين ثابت ليعلن عن قصة عبير ..وهى قصة غامضة من الأساس.

***

لكن من هى عبير هذه التى أشعلت النار ؟

اسمها بالكامل عبير طلعت فخرى....ابنة أسرة بسيطة من عزبة شحاتة بمركز ساحل سليم بأسيوط،وهو نفس المركز الذى كان ينتمى إليه الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر السابق.

ظلت عبير شبحا لا أحد يعرف حقيقة وجوده،كل ما يعرف عنها أنها فتاة كانت حاصلة على دبلوم تجارة،وأنها التحقت بمعهد لدراسة الخطوط،وأنها كانت تتردد على ساحل سليم الذى كان يعمل به ياسين ثابت سائقا على سيارة بالأجرة،وأنها كانت متزوجة،لكنها أحبت ياسين،ومن أجله أشهرت إسلامها،وتزوجته،وهربت معه إلى قرية ورورة ببنها،وأن أهلها عرفوا مكانها فأجبروها على العودة إلى الكنيسة،وعندما عرف ياسين بقصتها ذهب ليحررها بعد أن أخبر السلفيين بذلك.

لكن المفاجأة أن عبير ظهرت بالفعل،ومن خلال موقع الجماعة الإسلامية المسؤول عنه القيادى بالجماعة ناجح إبراهيم،الموقع اعتبر أن حواره الذى أجراه أبو يوسف وأعده للنشر طلال رجب مع عبير سبق صحفى وهو كذلك بالفعل.

لم يذكر من أجرى الحوار أين ولا متى أجراه،لكنه اكتفى بأن قال:«تعالوا بنا لنستمع بأذن صاغية لصوت العقل والحكمة إلى تلك المرأة المصرية التى أراد البعض أن يسلبها حريتها فى اختيار عقيدتها، ونحن فى القرن الواحد والعشرين،

وخاصة بعد ثورة ٢٥ يناير التي جاءت لترسى قواعد الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية للمصريين جميعا،دون تفرقة بين أحد بسبب الدين أو اللون أو العرق.

ويبدو أن أبا يوسف لم يجر الحوار بنفسه، فقد جاءه عبر تسجيل فيديو من أحد أصدقائه، للسيدة التى قال : إنها كانت محبوسة بسكن القديس يوحنا القصير الملحق والملاصق لكنيسة مارمينا بإمبابة، وأنه تأكد بنفسه من ذلك بعد أن قابلها بنفسه.

فى الحوار الذى نقلته معظم المواقع الإليكترونية قال عبير: «أنا اسمى عبير طلعت فخرى امرأة مصرية ،من أبوين مصريين كادحين من أجل أربع بنات وأخ.. وأنا أكبرهم سنا،نعيش بمحافظة أسيوط، مركز الساحل عزبة الشيخ شحاتة.. والتحقت بالتعليم مثل كل فتاة تريد أن ترتقي بمجتمعها بعيدا عن الجهل والتخلف.. فحصلت على دبلوم تجارة.. ثم التحقت بمعهد لدراسة الخطوط.

تزوجت مثل كل فتاة بشاب تقدم للزواج بى من نفس ملتى المسيحية.. ولكن للأسف لم يكن كما يظن به والدى أنه حسن الأخلاق كريم المعاشرة، فقد أساء معاملتي وأهانني ،حتى وصل به الأمر أن اتهمنى فى عرضى وشرفى، حتى أن من سوء خلقه رمانى بالفاحشة مع أخيه.

حتى جاء يوم وأنا حامل فى شهرى الثامن وأخذ بالاعتداء على نفسيا وبدنيا،ولم يكتف بما فعله بضربى وإهانتى وتعريض جنيني للوفاة.. بل طردني من البيت .. كل ذلك لمجرد أنه عرف أن الجنين أنثى، وعندما ذهبت إلى بيت أهلى أعادنى والدى إليه خوفا من كلام الناس، مكثت فى بيت أهلى بعد ولادة طفلتى.. سنة وأربع أشهر لم ير زوجى ابنته كل تلك المدة .. ولم يعرها أي اهتمام.. ولم أرجع إليه وهو لم يكن يريدني.

تم تتحدث عبير عن إسلامها: أشهرت إسلامى بالأزهر الشريف، فقد سافرت مع زميل لى فى معهد الخط إلى القاهرة يوم ١٥ سبتمبر لأشهر إسلامي وأوثقه.. وهو ياسين ثابت الذي وقف بجانبي في تقديم الأوراق والتوثيق في الأزهر، وتم ذلك يوم ٢٣ سبتمبر ٢٠١٠ واتخذت لنفسي اسما جديدا وهو «أسماء محمد أحمد إبراهيم»،وآثرت البعد عن بلدى التي أحبها وأعشقها.

بعد أن وثقت إسلامى ذهبت إلى قرية «وروزة» التي تتبع مدينة «بنها» عن طريق

رجل بلدياتى اسمه «جعفر»،و لم يكن أحدٌ يعلم أين أسكن .. حتى أول شهر مارس الماضى، اختلفت مع «جعفر» فوشى بمكانى لأهلى فجاؤوا وأخذونى.

ثم تأتى مرحلة الكنيسة تقول عبير:أهلى سلمونى لكنيسة أسيوط ،فكانت بداية سجنى واعتقالى فى أوائل شهر مارس ٢٠١١، ومكثت فى «دير العذراء» بأسيوط حوالى ثمانية أيام، ثم تم ترحيلى إلى دار المسنات بأسيوط ومكثت بها قليلا، ثم رحلونى مرة أخرى إلى فندق يتبع بعض المسيحيين بأسيوط.. واستمرت الترحيلات بين كنيسة وأخرى، حتى تم ترحيلى إلى القاهرة تحت إشراف كاهن كنيسة أسيوط،وفي الكاتدرائية بالعباسية.. تم الضغط على ليسلبوا منى حريتى وكرامتى في اختيار معتقدى.

تم نقلى إلى آخر سجن ومعتقل لى بمحافظة الجيزة.. وتحديدا فى منطقة إمبابة.. ووضعت في سجن خاص ذى شبابيك حديد ومعزول لا يستطيع أحد الخروج منه.. مجهز بسكن القديس يوحنا القصير الملحق والملاصق لكنيسة مارمينا.. وكنت معزولة عن العالم في تلك الفترة،وحتى وأنا فى محبسى بسكن القديس يوحنا القصير .. لم يكن يفتح الباب إلا عن طريق كاهنة ..وذلك لمجرد إدخال الطعام فقط،ومكثت فى هذا السجن حوالى ثمانية أيام.. حتى يأخذونى قسرًا، إلى السجل المدنى لتغيير أوراقى.. وهو ما يعرف بالإعادة.

وتصل عبير إلى أحداث إمبابة تقول:لم تكن هناك فرصة غير أنى اتصلت بالأستاذ ياسين ثابت عن طريق تليفون محمول استطعت أن أحصل عليه،وأخبرته بما سيحدث من خروجى مع بعض الكهنة إلى السجل المدنى، وقلت له: جهز سيارة حتى إذا خرجت معهم إلى السجل المدني جريت منهم وتأخذني بعيداً عنهم.

وقبل أن أخرج سمعت أصواتًا فى الشارع والكنيسة وجلبة كبيرة.. وفجأة جاءت الراهبة وعليها علامات الارتباك والحيرة والاضطراب وهى تقول خذى حاجتك واخرجى من هنا بسرعة إحنا بريئين منك ومن دمك، وفى نفس الوقت رن التليفون المحمول وإذ بالصوت يقول: «أنا رئيس المباحث أنت فين يا بنتي»،ولكني خفت وقفلت التليفون،وخرجت إلى الشارع وسط زحام شديد

وهوجة كبيرة فأخذت توك توك لأرحل بعيدا شاكرة الله على نعمة أن نجانى من سجنى ومعتقلى.. راجية ألا أعود إليه مرة أخرى ولا أحدا من الناس.

إذا حاولنا تفكيك هذا الحوار لشككنا فيه من الأساس،فهو أقرب إلى الفبركة،ففى نهاية الحوار قالت عبير : إنها كانت خارجة إلى السجل المدنى لتغيير أوراقها حتى تعود إلى المسيحية،وهو كلام ينقصه الدقة، فتغيير أوراق العائدين إلى المسيحية يحتاج إلى قضية أمام مجلس الدولة، ثم أى سجل مدنى هذا الذى يفتح أبوابه فى الساعة الثامنة مساءً،وهو التوقيت الذى اندلعت فيه أحداث إمبابة.

لقد شككت قيادات الكنيسة فى حوار عبير،واعتبروا أن ما يحدث معها،هو نفس ما تتهم به الجماعة السلفية الكنيسة،من أنها تقوم بغسيل مخ لمن يقولون أنهن أعلن إسلامهن،وأن الفتاة تبدو مغيبة تماما على اعتبار أن هناك فتاة من الأساس.

هناك تناقض فى الروايات التى قيلت عن عبير،فقد قيل : إن ياسين هذا زوجها،وأنه ذهب ليحررها بعد أن عرف مكان احتجازها،لكنها قالت : إنها لم تتزوجه - رغم أن هناك وثيقة تؤكد زواجها عرفيا من مسلم ضمن ملفها فى محكمة الأسرة حسب ما نشرته جريدة الأهرام - ،وهو ما يجعلنا أمام علاقة غامضة تربط بينهما.

لكن الأهم من ذلك من وجهة نظرى أننا أصبحنا أمام مشكلة جديدة،وهى أن عبير تحدثت وهى لدى الجماعة الإسلامية التى نشرت على موقعها الحوار،فهل يمكن أن نعتبر الجماعة تحتجزها هى الأخرى ...وإذا كانت فعلت ذلك فإننا أمام حالة اختطاف من نوع جديد.

الشيخ ناجح إبراهيم دخل على الخط بنفسه، وأعلن أن عبير لدى فتاة مسلمة ترعاها،وهو ما يجعلنا نتساءل عن علاقة الجماعة الإسلامية بملف القضية من الأساس،وهى علاقة فيما يبدو تصب فى مواجهة الكنيسة،فالجماعة الإسلامية تؤكد أن عبير أسلمت وأن الكنيسة احتجزتها،وهو ما يمنح الغاضبين سببا إضافيا للغضب.

***

إننا أمام معركة حقيقية.

فعبير لا تزال على قيد الحياة،وإذا كانت كاميليا شحاته خرجت لتكذب كل من

تحدث عن إسلامها، فإن عبير ستفضح ما تفعله الكنيسة من تعذيب وإجبار لمن تعلن إسلامها على العودة للمسيحية مرة أخرى،ستكون دليلا حيا على ما يجرى – ويردده السلفيون – داخل الكنائس والأديرة.

لقد مارست الكنيسة حالة من العناد فى موضوع كاميليا،وهو ما فعلته قبل ذلك فى موضوع وفاء قسطنطين،رفضت ظهورهما،ورغم أن الجميع يعرف سيطرة البابا شنودة على الأقل على رجاله،إلا أنه أعلن أكثر من مرة أنه لا سيطرة له على كاميليا،وهو ما لم يكن صحيحا،وحتى ظهورها على قناة الحياة التبشيرية تحديدا،كان رسالة على أن الكنيسة لا سيطرة لها على ملف كاميليا،فقناة الحياة بالنسبة للكنيسة ملعونة ولا توافق على ما يذاع فيها.

مقصد الكنيسة انقلب عليها،فقد اعتبر مريدو كاميليا من المسلمين أن الكنيسة تتحداهم،وأنه تصر على اختطاف كاميليا وحرمان الإسلام منها،وقد يكون هذا تحديدا نقطة التحول فى المواجهة، فقد تخلى السلفيون عن التظاهر والاحتجاج إلى اقتحام الكنائس وإخراج الفتيات منها بالقوة.

لقد دفع الأقباط ثمنا غاليا لعناد الكنيسة،إن ١٢٥ من ال١٩٠ الذين ألقى القبض عليهم أقباط،كما أن نصف القتلى أقباط، وعاش أهالى إمبابة من الأقباط أياما صعبة عادت بهم إلى أيام الفراغ الأمنى،أفزعهم بلطجية وسلفيون صعدوا إلى بيوتهم وحاولوا تفتيشها،كانت هناك ما يشبه المواكب من سلفيين يركبون السيارات والتوك توك ويهتفون «إسلامية ...إسلامية»...وحرقنا كنايس النصارى».

***

ما حدث بعد أن تفكك جهاز أمن الدولة فى ملف صنع الفتن الطائفية لم يكن بعيدا أبدا عن الجهاز ...وكانت هذه رؤية خاصة أرى أنه من المهم توثيقها هنا.

فقد كان من السهل جدا تعليق دم الفتن الطائفية التى شهدتها مصر بعد الثورة (حرق وهدم كنيسة صول بأطفيح وتوابعها – الاعتداء على الأقباط فى منطقة السيدة عائشة – مظاهرات السلفيين المطالبة بالكشف عن كاميليا شحاتة – أحداث إمبابة) فى عنق أكثر من جهة.

يمكن أن نقول: إن المتطرفين من الجانبين عادوا مرة أخرى إلى الساحة بعد أن خفتت حالة المد الثورى التى خلفتها ثورة ٢٥ يناير.

ويمكن أن نقول : إن صمت البابا على ما يفعله أولاده يشجعهم لأنه يلعب بنفس الأوراق القديمة،فقد رأى أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة الحاكم الجديد فى البلاد يتجاهله تماما،فقرر أن يدفع بأولاده للتظاهر والتمادى فيه،حتى يأتى بالمجلس إلى مكتبه فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية،كما كان يفعل مع كبار المسئولين فى نظام مبارك.

ويمكن أن نقول : إن جهات خارجية تعبث فى أمن مصر،وأنها من أشعلت النار وأججت الفتنة التى هى بطبيعتها نائمة،وأن الله يلعن من يوقظها.

لكن كل هذه التصورات أصبحت بالية ...قديمة ..ساقطة ...أو أنها سقطت بسقوط نظام مبارك،الذى كان يتفنن فى ادعاء الدفاع عن الأقباط، رغم أنه كان يلعب بهم ويعتبرهم ورقة رابحة يستطيع من خلالها أن يحكم سيطرته على الأقباط وعلى خصومهم معا.

لا يوجد أدنى شك فى أن الفتن الطائفية التى تتم صناعتها، وتصديرها إلى صدارة المشهد،لم تخرج عن صناعة جهاز أمن الدولة،وضباطه الذين كان من بين ما فعلوه خلال السنوات الماضية تدبير الأحداث الطائفية لكسر شوكة المسيحيين من ناحية،ولضرب خصومهم من الإسلاميين من ناحية أخرى.

ستقول أن جهاز أمن الدولة تم تجميده بالفعل...وأنه ليس من المنطقى ألا يتصرف ضباطه بهذه الطريقة وهم فى حالة حصار يفرضها عليهم المجتمع كله....وهو كلام رغم ما فيه من منطق إلا أنه ليس واقعيا بالمرة،فنحن أمام جهاز كان يعمل فيه ٦ آلاف ضابط ....هناك فقط ٤٠٠ ضابط نعرف مصيرهم وأين يوجدون الآن.

إننا أمام حوالى ٥٤٠٠ ضابط أمن دولة طلقاء،وهؤلاء الذين يتعاملون بعجنهية وغرور،وجدوا أنفسهم فجأة أذلاء،قلاعهم المحصنة تحت أقدام أفراد من الشعب كانوا يتعاملون معه باحتقار،هناك مطالبات بمحاكمتهم وسجنهم والتعامل معهم بمنتهى العنف والقسوة...وهو مصير يعرف ضباط أمن الدولة

أنهم سيصلون إليه.

هؤلاء الذين ينتظرون مصيرهم،من المنطقى جدا أنهم يعملون الآن من أجل الانتقام،ومحاولة إجهاض الثورة التى قطعت رقابهم،إنهم خبراء فى إثارة الفتن وترويج الشائعات وتسريب المعلومات التى توغر الصدور.

وما حدث فى السيدة عائشة – من اعتداء المسلمين على مواطنين مسيحيين – يؤكد ذلك.

فمن بين ما قيل : إن شائعة ترددت بعد أن احترقت أكوام قمامة بجوار مسجد،أن أقباط المنطقة يحرقون المسجد ...فاتجه المسلمون على الفور واشتبكوا مع الأقباط،وعندما حاول الجيش التدخل وقعت إصابات عديدة وصلت إلى خمسة عشر قبطيًا ....مات منهم اثنان.

البداية معلومة إذن ...خبر قصير يفجر الفتنة ويشعلها،وهو أمر يجيده الجهاز،تدرب عليه كثيرا،ولا تزال وثائق إدانة وتورط جهاز أمن الدولة فى تفجير كنيسة القديسين فى الإسكندرية ساخنة،وهو ما يجعلنا نؤكد أن ما حدث فى أطفيح بداية من اللعب بعلاقة عاطفية بين مسيحى ومسلمة ونهاية بحرق الكنيسة وهدمها لن يخرج عن انتقام أمن الدولة الذى يبدو أنه لن ينتهى قريبا.

إن ضباط أمن الدولة كان يقبضون بأيديهم على رجال الدين من الجانبين،بل إن كل رجل دين مسيحى كان على تليفونه المحمول رقم أو أكثر لضباط فى أمن الدولة،وهو ما تكرر أيضا فى شيوخ الجماعات الدينية السلفية،إننى لا أتهم رجال الدين المسيحى (كثيرون منهم خرجوا فى مظاهرات واعتصموا مع المعتصمين أمام مبنى التليفزيون احتجاجا على ما جرى فى أطفيح) ولا أتهم رجال الجماعات السلفية (وهم الذين عادوا لقيادة مظاهرات تطالب مرة أخرى بالإفراج عن كاميليا شحاتة والكشف عما جرى لها) بالمؤامرة،ولكنى أعيب عليهم أنهم لا يزالون يبتلعون الطعم بنفس الطريقة....ويخرجون للقتال فى سبيل الله،رغم أن التجارب جميعا أثبتت أن القتال لم يكن إلا فى سبيل أمن الدولة.

إن هناك حالة من الاستنفار القصوى لدى جهات عديدة فى الدولة الآن

للوقوف أمام ما يقوم به أمن الدولة،وما يمكن اعتباره فلولا للحزب الوطنى الذى انكسر،وهنا تصريح منسوب لأحد القيادات فى المجموعة الضيقة الحاكمة الآن أنهم لن يتورعوا عن إظهار العين الحمراء لمن يريدون اغتيال الأمن فى مصر ....والرسالة مفهومة ومعروف من المقصود بها.

إننى لا أميل إلى تفصيل وقائع ما جرى لا فى أطفيح ولا فى منطقة السيدة عائشة ولا فى إمبابة....فدلالة ما وقع أهم ،وهنا لابد من الإشارة إلى الآتى:

أولا: لماذا عادت الطائفية البغيضة مرة أخرى؟ بعد أن اعتقدنا أن الثورة قضت على هذا الوهم الذى كنا نعيشه؟ فى ميدان التحرير اختار الأقباط أن يكونوا مصريين قبل أن يكونوا مسيحيين، تفاءلنا بالروح التى صنعت مجدا لم نكن نحلم به،لكن بعد أيام من الثورة عادت الطائفية مرة أخرى..وهذه المرة بشدة وعنف غير مسبوقين.

ولا يوجد سبب مباشر لذلك إلا أنه ليست هناك حالة استمرار للثورة،إننا أمام كارثة فى الإدارة السياسية للبلاد،هناك حالة من العزل التام للمواطنين عن القضايا الكبرى التى خرجت من أجلها الثورة،لا كلام واضح عن الدستور أو شكل نظام الحكم القادم،لا كلام واضح عن مستقبل الاقتصاد أو مستقبل الصحافة،أو عودة الأمن إلى الشوارع مرة أخرى،فكان طبيعيا أن يعود المواطنون إلى قضاياهم الصغيرة التافهة.

ثانيا:لقد كان التعامل مع الأقباط مريبا،ففى مقابل الاعتراف الرسمى بالإخوان المسلمين ودفعهم إلى مقدمة المشهد ...أحدهم كان فى لجنة صياغة التعديل الدستورى،جلسوا أكثر من مرة مع رجال المجلس الأعلى للقوات المسلحة،كان هناك تغييب كبير للأقباط،وهو ما جعلهم يشعرون بالقلق من المستقبل،ولذلك فإنه وفى أول مناسبة وفى أول حدث خرج الأقباط،وكانت طلباتهم هذه المرة بلا سقف،وهى سمة المطالب فى مصر الآن... فكلها بلا سقف.

عندما تهدمت كنيسة أطفيح،تعهد المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإعادة بناء الكنيسة على نفقته الخاصة،وانتهى عهد الحصول على تصاريح بناء الكنائس من أمن الدولة،وهى أمور إيجابية إلى حد كبير،لم يكن يحلم الأقباط بأن يصلوا إليها، لكنهم الآن لم يلتفتوا إليها ..وواصلوا للحصول على كل ما يريدونه،فالفرصة

سانحة الآن فلماذا لا يقتنصونها؟

ثالثا:فى مقابل صمت البابا شنودة وعدم اعتراضه على مظاهرات الأقباط،رغم اعتراضه على مشاركة الأقباط فى ثورة ٢٥ يناير،فإننا أمام حالة من الضعف المحير بدا بها وعليها رئيس الوزراء عصام شرف،الذى تعامل مع المظاهرات التى قام بها السلفيون أمام مقر مجلس الوزراء بقلة حيلة غريبة،مطالبين باستعادة كاميليا شحاتة.

قال لهم: إنه سيبحث الموضوع ووعدهم بحله،دون أن يحدد طريقة الحل،فإذا حل الموضوع بما يرضى السلفيين فلن يرضى الأقباط،وإذا حل بطريقة ترضى الأقباط فلن يرضى السلفيون،وهو ما يدخلنا فى دائرة جهنمية لن نخرج منها أبدا.

رابعا: إننا أمام مؤامرة لحرق المجتمع كله،وهو ما يجب أن ننتبه له من الآن،إن المستفيد الوحيد مما يجرى هو النظام السابق،الذى تتورط بقاياه الآن فى ثورة مضادة لأنها على وشك المحاكمة،وهى المحاكمة التى يمكن أن تصل بهم إلى الإعدام ،ولو افتقدنا الأمن وسادت الطائفية المشهد فإن الثورة ستفقد كل ما حققته.....فانتبهوا أو موتوا.

***

هل تريدون كلمة يمكن أن تكون خاتمة لهذا الملف...لقد عبث أمن الدولة كثيرا ...ومن الصعب أن نتخلص من إرثه ...سيظل يطل برأسه علينا لسنوات قادمة ...فالذين زرعهم بيننا ...والذين جهزهم لإخافتنا لا يزالون يعملون ولن يكفوا عن العمل أبدا.